

مشروع تأليف المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عرض تاريخي بقلم يان پوست ويتكام

في التقديم الذي كتبه للمجلد الأول من «المعجم المفهرس» في أكتوبر سنة ١٩٣٦ ذكر البروفسور آرتنت يان ونسنك (Arent Jan Wensinck) — صاحب المبادرة الى مشروع وضع «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» — أن مقدمة المجلد الأخير سوف تشتمل على عرض موجز حول مكونات نشوء الكتاب وتطوره. وها هو ذا الآن بين يدي القارئ، هذا المجلد الثامن والأخير في هذه السلسلة، يصدر بعد أكثر من نصف قرن من ظهور قرينه المجلد الأول. الا أنه ما كان في استطاعة ونسنك العلم بخيا المستقبل حتى يتنبأ بأنه لن يشهد أكثر من المجلد الأول الصادر ١٩٣٦: اذ وافته المنية سنة ١٩٣٩. الا أن نشر المجلد الأول لم يكن قط منطلق بداية هذا المشروع. اذ منذ سنة ١٩٢٢ أعلن ونسنك، في أخبار المجمع الملكي بأمستردام، عن عزمه على وضع «معجم لألفاظ الحديث النبوي»؛ وقد كان يريد إخراجها الى الواقع منذ زمن بعيد. اذ أن الفكرة ذاتها حول تأليف المعجم يرجع تاريخها، في الحقيقة، الى ما قبل سنة ١٩١٦. ولقد كانت نصائح كريستيان سنوك هرخرونيه (Christiaan Snouck Hurgronje) من بين المؤثرات التي مارست فعلها على ونسنك في تطوير هذا المشروع. وفي سنة ١٩٢٢ سار العمل في المشروع على قدم وساق.

وقد تقرر العمل حينئذ على إعداد معاجم لغوية بحسب الألفاظ، وبالترتيب الهجائي، للأحاديث الواردة في «صحيحي» البخاري ومسلم و «سنن» أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، مضافاً إليها ثلاثة مصنفات أخرى: «موطأ» الامام مالك و «سنن» الدارمي و «مُسْنَد» أحمد بن حنبل الذي كان بوجه خاص عسير القراءة. في سنة ١٩٢٧ أصدر ونسنك كتابه «A Handbook of Early Muhammadan Tradition»، الا أنه لا يمكن اعتبار هذا الكتاب بمثابة بديل يقوم مقام «المعجم»، بحيث أن الـ «Handbook» دون أن يرمي الى تقديم متون وأسانيد الأحاديث المناسبة، قدّم الموضوعات مترجمة الى الانجليزية فحسب، وذلك في ترتيب هجائي، تليه إحالات الى الأماكن التي يمكن أن يُعْتَر فيها على تلك الأحاديث بين ثنايا جوامع الأحاديث التي تمت استشارتها. وكما هو بديهي فان نفس الجاذبات استخدمت كأساس في تأليف الـ «Handbook» و «المعجم» على السواء. الا أن الفرق الجوهرية بين الكتابين — كما أشرنا الى ذلك سابقاً — هو أن «المعجم» لم يكن في نيته فقط تقديم الإحالات باللغة العربية، بل قصد أيضاً الى تقديم الكلمات الأساسية والجوهرية في سياقها. الا أن هذا كله بقي مجرد حلم عسير المنال؛ ما دام «المعجم» لم يُعتبر مرجعاً للدراسات اللغوية، بل انه على الأصح، مصدر يعين الطلاب في العثور بسهولة على محتوى المصنفات الأصيلية من الأحاديث النبوية. ولذلك كان من حق المساعدين، المدعويين من طرف ونسنك الى تفحص الكتب الصحاح، أن يسقطوا الكلمات الأكثر شيوعاً، وهذا ما فعلوه ضرورة كل حسب رأيه. وقد لعب هذا العامل نفسه دوراً هاماً في مرحلة تحرير «المعجم». من ثم فقد أسقطت كل الألفاظ التي لا ترمي الى هدف معين في الكتاب؛ أما الألفاظ التي تبدو أعمّ شيوعاً فقد تم ذكرها بدون سياقها. وقد حقق ذلك هدفاً مزدوجاً؛ من الناحية العملية والاقتصادية على السواء؛ اذ لو تم إنجاز «المعجم» بدون إسقاط كلمة هنا أو جملة هناك لأخذ الكتاب حجماً أكبر بكثير مما هو عليه الآن، ولما صار في إمكان أحد الاستفادة منه، كما أن تكاليف الطبع كانت ستربو عن الطاقة الممكنة.

لقد بدأ ونسنك في التقديم الذي كتبه سنة ١٩٣٦ يتذمر من الانتقادات الموجهة اليه: اذ كان عليه، في نظر البعض، أن يبدأ بإعداد طبعات محققة لتلك المصنفات المعتمدة والمتفحصّة، قبل أن يقوم بإعداد «معجم» لها. الا أنه كان يحتجّ على هذا الانتقاد قائلاً ان العمر الضروري لإنجاز مثل هذا العمل كان يعوزه؛ وبالتالي فقد أقرّ الاعتماد على نسخ تلك النصوص كما كانت في المتناول، وهذا يعني في نفس الوقت التسليم بعدد من الأخطاء في تلك النصوص غير المحققة تحقيقاً علمياً. وقد

مشروع تأليف المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

ترتب عن هذا القرار نتيجة لم يُتخلص منها فيما بعد: إلا وهي أن أخلاف ونسك واصلوا العمل بعده معتمدين معظم طبعات تلك النصوص نفسها. وفيما بعد، قام العلامة المصري محمد فؤاد عبد الباقي بنشر طبعات حديثة - وهي التي لم يطلع عليها ونسك - لكل من «صحيح» مسلم و «سنن» ابن ماجه و «موطأ» الامام مالك، محتفظاً في ذلك على الأرقام الإحالية المطابقة لتلك التي وضعها ونسك في «المعجم». وفي سنة ١٩٣٦ كانت المرحلة المهمة في العمل الأساسي، والتي تتعلق بمجرّد النصوص وتفحصها لإعداد «المعجم» - أي قراءة تلك النصوص وتحرير الجذاذات - قد أتت على نهايتها؛ وأما بقية العمل فقد كانت تتم تحرير ومراجعة ونقد الجذاذات الموضوعية.

الا أن الأقدار لم تسمح لونسك أن يشهد من المشروع الذي بدأ أكثر من صدور المجلد الأول وبعض الكراسات من المجلد الثاني من حرف «الألف» الى حرف «الزاي». وفي سنة ١٩٤٠ - بعد وفاة ونسك - واصل عملية التحرير السيد ي.ب. منسنج (J. P. Mensing)، الرجل القانوني والمدرس المتطوع المكلف بتدريس اللغة العربية في جامعة ليدن. الا أن أبواب هذه الجامعة تم إغلاقها منذ سنة ١٩٤٠ من طرف المحتل الألماني. وفي سنة ١٩٤٣ وفق منسنج في إصدار المجلد الثاني؛ أخذاً على عاتقه مهمة إتمام ما يقارب النصف من هذا المجلد، أي ابتداء من حرف «الزاي»، ملتزماً في ذلك بمنهج سلفه ومطبقاً الطرق الانتقائية الموضوعية من طرف ونسك بدقة شديدة، قصد الحصول على الحجم المتوخى للكتاب. وفي التوطئة التي كتبها منسنج للمجلد الثاني وعد بدوره، وكما فعل من قبله ونسك في المجلد الأول، بكتابة كراسة تفسيرية تتضمن نشوء فكرة «المعجم» وتطورها. الا أن هذه الكراسة لم تر النور أبداً. وفي سنة ١٩٥١ توفي منسنج على أثر مرض ألزمه على التحلي عن مهمة كان يقوم بها في ليبيا لصالح منظمة الأمم المتحدة. وكان قبل توجهه الى هذا البلد، قد ترك مهمة القيام بتحرير العمل في يد مستعيرين هولنديين شابين هما السيد و.ب. دي هاس (W. P. de Haas) والسيد ي.ب. فن لون (J. B. van Loon). وقد واصل هاذان الشبان العمل الى حدود سنة ١٩٥٤، لكن دون أن يتمكنّا من إصدار المجلد الثالث، الذي قدر له أن ينشر فيما بعد تحت رعاية شابين هولنديين آخرين، هما السيد ي.ت.ب. دي بروين (J. T. P. de Bruijn)، والسيد ه.سي. رويتر (H. C. Ruyter). وبفضل عناية الدكتور سي.سي. برخ (C. C. Berg)، وهو يومئذ أستاذ اللغة الجاوية في جامعة ليدن وكذا رئيس المجمع الملكي بأستردام، ظل مشروع «المعجم المفهرس» رهن تعهدات المنظمات والمؤسسات الهولندية والأجنبية على السواء، إذ أعانته مالياً لتسديد تكاليف الطبع؛ وبفضله أيضاً نجح المشروع في قطع مرحلة صعبة. وقد ظهر المجلد الثالث في سنة ١٩٥٥ بعد مرور اثنتي عشرة سنة على طبع المجلد الثاني.

أما المجلدات الرابع والخامس والسادس والسابع فقد ظهرت تحت رعاية الدكتور ي. بروحمان (J. Brugman) الذي عُيّن سنة ١٩٦١ أستاذاً للغة العربية في جامعة ليدن. وقد عمل على تكوين مكتب وفريق من المساعدين، طلبة وأساتذة مساعدين، أملاً منه أخيراً في إنهاء هذا المشروع الذي شرع فيه قبله بكثير. وقد تم فعلاً للمجلد الأخير من «المعجم» أن يظهر سنة ١٩٦٩ تحت إشرافه الحكيم والفعال. أما التحوينات المادية اللازمة لأداء أجر المساهمين وكذا تغطية تكاليف الطبع فقد تكلفت بها المنظمة الهولندية لتنمية البحث العلمي. وقد قام منضدو الحروف بدار بريل بليدن بعملية تركيب النص العربي الى حدود الصفحة ٣٢٠ من المجلد الرابع أي ما يقارب نصف «المعجم»، وهذا دون سابق إلمام باللغة العربية. وابتداء من الصفحة ٣٢١ من المجلد الرابع تمت عملية الطبع بحروف مختلفة شيئاً ما - وهذا يلاحظ بسهولة - من طرف ناشري الدار القيّمة في بهوندي قرب بمباي (الهند). وقد كان هؤلاء، وبالأخص المدير العالم الورع لهذه المؤسسة السيد عبد الصمد شرف الدين، على علم بترائهم، من ثم فقد استدركوا بدقة وحماس عدداً كبيراً من الإضافات والتصحيحات التي أغنت «المعجم» بلا شك.

يبقى أن نشير هنا أيضاً الى مساهمين آخرين في المشروع: أولهما المرحوم السيد الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي من القاهرة، المحقق لعدد من الكتب الأصولية للجامعة للحديث النبوي؛ وكذا صاحب المؤلفات العديدة، من بينها معجماً مفيداً جداً في باب - الا أنه للأسف قليل الاستعمال الآن - حول أرقام الكتب وأبواب نصوص جوامع الحديث النبوي بعنوان «تيسير المنفعة بكتائمي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» (القاهرة ١٩٣٥-١٩٣٩)؛ كما فسح أيضاً المجال دائماً لمحري «المعجم» حتى يستفيدوا من معارفه الواسعة حول السنّة النبوية، مقدماً لهم في مناسبات عديدة نصائح

مشروع تأليف المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

في غاية الأهمية، حول قضايا جوهرية في التحرير، خاصة خلال مرحلة النصف الأول من المشروع. أما المساهم الآخر فهو الدكتور جواثيروس يونبول (G. H. A. Juynboll). لقد شرع سنة ١٩٦١ في العمل مع الأستاذ بروخمان في مشروع «المعجم»، وهو حينئذ ما يزال طالبا في شعبة الإسلاميات. وقد استهواه الحديث النبوي الى درجة أنه قرر في النهاية، اختياره كموضوع لأبحاثه العلمية؛ وليس أدل على ذلك من كتاباته العديدة في ميدان التاريخ لمرحلة البواكير في الإسلام، وكذا تحليله لقضية الأسانيد في الأحاديث، رغبة منه خاصة في تحديد تأريخ المواد المتضمنة في الحديث النبوي.

الا أنه منذ أن تم إصدار المجلد الأخير من «المعجم المفهرس»، عمد كثير من دور النشر في بيروت وغيرها الى استنساخ طبعات مسروقة ومنتهجة عبارة عن صور فوتوغرافية بسيطة للطبعة الأصلية. وقد شكل هذا الحدث خطراً شديداً على دار بريل التي أخذت على كفالتها مناظر تجارية ذات بال، على الرغم من الإعانات المالية التي تلقتها من جهات أخرى. وقد حاولت بريل، بطرق قانونية، وضع حد لهذه القرصنة الثقافية، لكن بدون جدوى. إذ أن الطبعات المنتحلة من «المعجم» تباع اليوم في جميع أنحاء العالم الإسلامي بأثمنة منخفضة جدا عن ثمن الطبعة الأصلية. الا أن هذه الظاهرة - ولنعترف بها - مما يدل على الحاجة الماسة الى «المعجم».

وقد تلقت «الفهارس» منذ بداية المشروع اهتماما سطحيا الى حد ما، وبالتالي ظل الاهتمام بها جزئيا. لقد كان مساعدو ونسنتك يريدون إصدار «المعجم» خاصة؛ ومن المحتمل أن يكون ونسنتك قد أجل تصنيف «الفهارس» ونشرها الى مرحلة لاحقة؛ مبدئياً بوضوح في مقاله لسنة ١٩٢٢ تفاعلاً كبيراً فيما يخص وضع تلك الفهارس. ولقد كان بروخمان نفسه عازماً على إنهاء المشروع دون نشر الفهارس: من ثمة فانه أغلق المكتب وألغى العقود مع المساعدين والمحررين، مباشرة بعد إصدار المجلد السابع سنة ١٩٦٩. وفي يوليو ١٩٧٢ عندما شرعت في إعداد المواد الموضوعية، أي مجموعة البطاقات القديمة التي تراكم عليها الغبار وكادت أن تُنسى، بدا لي منذ البداية أن الأمر يتعلق ههنا بمادة غير صالحة في الحقيقة. وقد قررت حينئذ وضع مجموعة جذازات جديدة كل الجدة، وقد التجأت بنفسي، لهذا الغرض، الى تمحص الكتب الاصلية في الموضوع. وعندما تم تعييني في نوفمبر ١٩٧٤ محافظاً لقسم المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة ليدن، اضطررت الى التنخلي عن العمل في «الفهارس». وكنت أتذ قد قرأت - قراءة مهمة وجد مفيدة - «صحيحي» البخاري ومسلم، و «سنن» أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي، وقد أعددت لها فهارس بأسماء الأعلام والأماكن الجغرافية والشواهد القرآنية؛ منعطفاً بذلك، لضيق الوقت، عن المشروع الاصيل لونسنتك بحيث لم أشر الى سياقات أسماء الأعلام. الا أن ال «Handbook» لونسنتك يقدم المعلومات اللازمة حول الأعلام الأكثر شيوعاً. كما أنني لم أضع أيضاً جذازات لأسماء الأعلام الواردة في الأسانيد؛ وهذه الأعلام لم يتم إثباتها في «الفهارس» بتاتا؛ مع استثناء واحد: وهو أن المحدثين الواردين على رأس كل إسناد - أي أولئك الذين رووا بطريقة مباشرة الأحاديث المنسوبة اليهم - قد أدرجت أسماءهم في «الفهارس».

ومنذ نوفمبر سنة ١٩٧٤ واصل السيد ويم رافن (Wim Raven) العمل، بل ثابر عليه حتى بعد تعيينه مدرسا مكلفا بإلقاء دروس العربية في جامعة أمستردام الحرة. لقد عمد الى إعداد جذازات «الموطأ» للإمام مالك و «المسنَد» لأحمد بن حنبل. وعندما فرغ من هذا كله، قام السيد رافن بالمهمة الشاقة، والتي تتعلق بخلق انسجام، بطريقة أو بأخرى، بين المعطيات المستخلصة من المجاميع المختلفة، وكذا وضع قيودات موحدة لها، ما أمكن ذلك. ان الفضل في تحقيقنا - أنا والسيد رافن - لعمل إعداد «الفهارس» وكذلك إصدار هذا المجلد الأخير، يرجع الى الإعانات المالية الكريمة التي وهبتها المنظمة الهولندية لتنمية البحث العلمي في لاهاي والجمع الملكي في أمستردام. وبفضل الثورة في الصناعة الطباعية لهذه السنوات الأخيرة تم تنسيق حروف هذا المجلد الثامن وطبعه، مرة أخرى، في مطبعة دار بريل حيث رأيت النور أول كراسة من المشروع، وذلك قبل أكثر من نصف قرن.

ان «المعجم» و «الفهارس» يختلفان أيضاً في أوجه أخرى، منها أن «المعجم» يمكن أن يقدم إحالات الى الأحاديث المتشابهة المعنى المختلفة الصياغة، دون أن يكون ذلك سبباً لأية صعوبات. وبالتالي «الفهارس» فقد ارتأيت مع السيد رافن، أنه لن يفيد في شيء إيراد نفس الشخص مرات كثيرة تحت أسماءه العديدة، وكما هي واردة بالضبط في الكتب الاصلية. لقد

مشروع تأليف المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

حاولنا من ثمّ التحقق من هوية أكبر عدد ممكن من الأسماء مشيرين تحت إحالة واحدة الى كل المواضيع التي ذكر فيها شخص ما بهذه الصيغة أو تلك. لأجل هذا اضطررنا الى إعادة النظر في المواد المختصة بأسماء الأعلام بطريقة نقدية صارمة. إلا أن الحكم متروك لقراء «الفهارس» ومستعملها حتى يقرروا فيما اذا كنا قد أدينا واجبنا بما فيه الكفاية. ولقد أهملنا، كما بينت ذلك سابقا، وضع فهارس لأسماء الأعلام الواردة في الأسانيد؛ وذلك لأن «علم الرجال» ميدان واسع حافل بعراقيل لا حل لها أحيانا. ودون أن نقصد الى إهمال هذه المواد الغنية جدا، فاننا نرى أنه لا ينبغي الخلط بين الأسماء الواردة في الأسانيد والأسماء الواردة في متن الأحاديث. ان دراسة منهجية للمعطيات المتعلقة بدراسة أسماء الأعلام التي نجدها في الأسانيد ستكون جد مفيدة؛ إلا أن دراسة من هذا النوع قصد بحث تحليلي للأحاديث، تبدو أكثر ضرورة. لكن هذا العمل لا يمكن تحقيقه في فهرس بسيط مثل هذا الفهرس؛ لأن بلوغ تحليل مُجَدِّ للمواد المتضمنة في الأسانيد يتطلب إعداد لوائح الترابطات بدلا من مجرد فهارس بسيطة على الطريقة التقليدية. وعسى أن ينشأ في يوم من الأيام، في جيل لاحق، من سيقوم، من المستعربين والمهتمين بالإسلاميات، بوضع مثل هذا الفهرس. ولا يفوتنا أن نشير الى أن استعمال الكمبيوتر في هذا المجال يبدو من الضرورة بمكان.

أود أن أختتم هذا العرض مقدما فيما يلي قائمة شاملة بأسماء كل المساهمين في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» منذ ظهر وليدًا كفكرة سنة ١٩١٦ الى أن اكتمل عوده سنة ١٩٨٧. ولقد حملت الكراسات - التي كانت تصدر تباعاً - على ظهر أغلفتها لوائح من هذا النوع، إلا أنها ضاعت، للأسف، خلال مرحلة التجليد النهائي للمجلدات. أما القائمة التي قدمها ونسنت في تقريره سنة ١٩٢٢ فانها تختلف شيئا ما عن هذه؛ بحيث يبدو لي، في الواقع، وكأن ونسنت أورد في قائمته ليس فقط أسماء المساهمين في المشروع، بل أيضا حتى الذين كانوا قد وعدوه بمساندتهم بطريقة أو بأخرى، أو كانوا مؤيدين لفكرة المشروع. إن اللائحة أدناه تبين للقارئ أن مشروعا مثل مشروع «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» لم يكن ليتم إنجازه لولا مجهودات بذلتها، خلال مرحلة زمنية هامة، مجموعة من الباحثين من مختلف البلدان؛ ويصدد «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» فلقد تضافرت على إنجازه معا جهود أربعة أجيال كاملة!

قائمة بأسماء المساهمين في مشروع «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» ١٩٨٧-١٩١٦

| | |
|-----------------------------|------------------------|
| MUHAMMAD FU'ĀD 'ABD AL-BĀQĪ | A. KERSTEN |
| C. ADRIAANSE | H. KINDERMANN |
| C. VAN ARENDONK | I. KRATCHKOVSKY |
| R. BELL | F. KRENKOW |
| C. C. BERG | L. B. KRETZSCHMAR |
| E. J. VAN DEN BERG | Mme. R. KRUK |
| W. BJÖRKMAN | J. B. VAN LOON |
| S. A. BONEBAKKER | A. MANSUR |
| G. BOS | J. P. M. MENSING |
| J. BRUGMAN | E. VAN MOURIK BROEKMAN |
| J. T. P. DE BRUIJN | R. PARET |
| J. ROBERTSON BUCHANAN | J. PEDERSEN |
| V. F. BUCHNER | W. RAVEN |
| A. A. GENSE | A. RICHTER |
| R. F. CHISOLM | Mme. M. Th. ROMIJN |
| A. A. FOKKER | H. C. RUYTER |
| H. FUCHS | A. SARLOUIS |
| J. FÜCK | A. SCHAADÉ |
| E. GOBÉE | D. W. SCHAAFSMA |
| A. GUILLAUME | A. SIDDIQI |
| W. P. DE HAAS | P. SMOOR |
| W. HEFFENING | J. L. SWELLENGREBEL |
| W. HENNING | F. TAOUTEL |
| M. HIDAYAT HOSAIN | MOHAMED TAHTAH |
| T. P. HOFSTEE | A. S. TRITTON |
| J. HOROVITZ | Mme. V. VACCA-DE BOSIS |
| A. J. W. HUISMAN | P. VOORHOEVE |
| T. HUITEMA | M. WEISWEILER |
| Mme. J. JANSE | A. J. WENSINCK |
| B. JOEL | W. D. VAN WIJNGAARDEN |
| G. H. A. JUYNBOLL | H. A. WINKLER |
| W. KERN | J. J. WITKAM |

الاتحاد الأُمَمِيّ لِلجَامِعِ الْعِلْمِيَّةِ

المعجم المفهرس

لألفاظ الحديث النبويّ

عن الكُتُبِ السَّتَّةِ وَعَنْ مُسْنَدِ الدَّارِمِيِّ
وَمَوْطَأِ مَالِكٍ وَمُسْنَدِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ

ابتداءً ترتيبه وتنظيمه ونشره

آرنت يان ونسينك (رحمه الله)

الجزء الثامن

الفهارس

تأليف

ويم رافن ويان يوست ويتكام

تم نشر هذا المجلد بالمساعدات المالية من

المجمع الملكي الهولندي للعلوم والآداب في أمستردام، هولندا
والمُنظمة الهولندية لتنمية البحث العلمي في لاهاي، هولندا

مطبعة برييل في مدينة ليدن المحروسة

سنة ١٩٨٨

محتويات الكتاب

| | |
|-----|---|
| ز | مشروع تأليف المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. عرض تاريخي، بقلم يان بوست ويتكام |
| ك | إرشادات للقارئ، وضعها ويم رافن |
| ١ | فهرس أسماء الأعلام |
| ٣٠١ | فهرس الأسماء الجغرافية |
| ٣٤٣ | فهرس أسماء سور القرآن الكريم وآياته |
| ٣٦٩ | فهرس آى القرآن الكريم على ترتيب السور وآياتها |